طفولتي

[الى الصديقة التي سألت الشاعر شيئاً عن طفولته ..]

طفولتي .. من لهبِ الفقر ومن ترابـه
سخرت للثورة حرماني ، وكل مـا به
لم أشك .. حين كنت في الأمس لقىً ببابه
ولا تحسست انتصاراً ليَ في غِلاَبــه
ما زال همي عالمــاً أجدُّ في طِلاَبه

*

طفولتي يا حلوة السؤال حــلم ثائرُ
عاش بــه منذ أتى هذا الوجود شاعر
في بيتنــا الصغير طفل ساهم ، وخاطر
يهزه .. كما هوى بجانحيــه الطائرُ
لا ترض شيئاً .. كل ما حولك ليلٌ عابرُ !

*

في قرية إن قلت جرداء ، فلست اكذبُ
طفولتي : فسحة بيت مهمل ، وملعب !
في الطين .. بين صبية من عمري لم يذهبوا
ما زلت .. إن كنت اغتربت عنهم .. واغتربوا
أحلمهم ثورة جيــل في دمي تلتهب !

*

تحت ظلال التينة الشهباء كنت أجلس
هناك راحت بالهوى أولى القوافي تهمس
ديوانيَ الأول أحــلى نغم ، واسلس
لم تتبدل خفقة كانت بصدري تهجس
إلا كما يضيع في وهـج الصباح الغَلَسُ

*

واختطف الطفلَ مـن القرية فجر أسودُ
و « غاصب » على الهوان لم يزل يستأسدُ
يشمخ كالجبار ، وهو « القَزَم » المستعبدُ .
واتصل الكفاح ، والغربة ، والتمرُّد ...
ما أسعد النضال .. يغذو ناره التشردُ !

*

طفولتي .. يا حلوة السؤال لم تبرح معي
في بسمتي على الدروب الحمر ، او في مدمعي !
في جلستي مع الرفاق حول كأس مترع ،
في السجن ، في انطلاقتي عبر الوجود الاوسعِ
في كل نبضٍ لم تزل طفولتي .. تحيا معي !

حلب — **سليمان العيسى**

الخاصة . وغايتها تلك النبيلة : الدفاع عن حرية الثقافة ، اليست هي غايتي بالذات ؟ إنه إذن لحظ كبير ان اقع على مؤسسة اغذّي في كنفها اشواقي الى الحرية ، واحاول ان اخدم عن طريقها قومي وقضيتي .

وهذا الصباح ، باشرت ذلك العمل . وقد ظلت طوال اربع ساعات ، وهو الوقت الذي تم الاتفاق عليه ، انظر في شؤون مهمتي وأنظم لهـا الوسائل والأسباب .

وهأنذا الآن امامك ، قادم لتوي من المكتب الجديد .. هذا الذى كان يشعرني طوال النهار اني بدأت النفاق مع نفسي ، اني أخذت الطّبخ نقاوة فكري . اراك تعجبين يا آنستي لهذا الكلام ، وحق لك ذلك . فانا احسب انك لا تدركين ما أعانيه . انك لم تدركي اني حين ارضى ان اتقاضى المال لأدافع عن مبادىء اعتنقها ، انما اخون فكري الحر وأبيع ضميري المستقل . انني بذلك انصب المباديء والافكار سلعة تشرى وتباع . انني بذلك أسقط للفكر اعتباره وجدارته . إن الايمان بشيء لا يطلب ثمناً له . إن الايمان لا يكون مأجوراً .

***

والتفت إليّ سالم ، واردف يقول ، وعلى شفتيه بسمة حزينة شاحبة :

— لقد ايقنت الآن يا آنستي انني لست بالرجل الذي تنشدين . فانني اخدعك إذ اخدع نفسي . إن حاجتي الى المال الذي تريدين ان تربطي به أمر زواجنا قد القى على ضميري غشاوة ... غشاوة صفيقة ...

***

يا سالم . ايها العزيز الغالي . غفرانك وصفحك . انني لم اكن أعرفك . مزقّ هذه الغشاوة يا سالم . اترك هذا العمل ايها العزيز .

وما بالك يا سالم لم تفتح حتى الآن ذراعيك ، لتتلقى جسمي المرتعش ؟ ولماذا لم تخرج منديلك لتمسح عينيّ الباكيتين ، بل لماذا لا تمحها بشفتيك هاتين النبيلتين ؟

سهيل ادريس